الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

منهج أبي عبد اللّه بن مريم المَديوني في التّرجمة لعلماء تلمسان في كتابه البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ـ قراءة نقدية في الكتاب ـ

The Method of Abu Abdullah Ibin Mariam al Madiouni in the Definition of the Tlemcens Scholars (Scientists) in his book: « Al BUSTAN In the talk about the Awliyaa and Scholars (Scientists) in TLEMCEN » -Critical reading in the book-

د.بن عبد الله واسيني
أستاذ محاضر قسم "أ"
تخصص قرآن كريم ودراسات أدبية، جامعة المسيلة
oammine@yahoo.fr

ملخص

يهدف هذا البحث إلى شرح منهج ابن مريم الميدوني في التعريف بالعلماء في كتابه البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان؛ حيث قدّمتُ ترجمة موجزة عن صاحب الكتاب، وتعريف موجز للكتاب، ثم أبرزت منهجه باختصار في التعريف بعلماء تلمسان، وقد قمتُ بنقد بعض جوانب هذا المنهج من خلال التعليل والتفسير.

وقد أظهر لنا المؤلف رحمه الله تعالى جوانب من حياة هؤلاء العظماء، وكذلك أظهر لنا الحياة الاجتماعية والتاريخية والسياسية والعلمية والأدبية والثقافية التي كانت سائدة في عصر لا نعرف عنه الكثير، وفي مدينة امتازت عن غيرهما من المدن في كل هذه المجالات التي ذكرتُها آنفًا. ووصل البحث إلى نتائج جليلة أهمها الثروة العلمية والأدبية التي امتاز بها هذا الوطن العزيز.

الكلمات الدالة: المنهج، تلمسان، البستان، التّرجمة، قراءة نقدية.

Abstract

The objective of this research is to Explanation the method of Ibin Mariam al Madiouni in the definition of Tlemcens Scholars (Scientists) in his book: Al BUSTAN In the talk about the Awliyaa and Scholars (Scientists) in TLEMCEN; Where I initially presented a brief definition of the author, and a simplified definition of the book,and I presented his method in shortness in the definition in of Tlemcens Scholars, and I have been critical of some aspects of this Method through the reasoning and the interpretation.

The author, may Allah have mercy on him, showed us aspects of the life of these great men, He also showed us the social, historical, political, scientific, literary and cultural life that prevailed in an Time of which we do not know much. And in a city that was different from other cities in all these areas mentioned earlier.

The research reached great results, the most important of which is the scientific and literary wealth that characterized this dear country.

Keywords: *The Method, TLEMCEN, Al BUSTAN, The Definition, Critical Reading.*

مقدمة

إن مقياس تقدّم الأمم ورقيها يرجع إلى ميراثها الأدبيّ والعلميّ، ولا يمكن لأيّة أمّة أن تسير في الطريق الصواب وفي النهج الصحيح ما لم يكن لها علماء في شتى التخصّصات؛ ينيرون ضربها، ويصوّبوه خطأها، ويقوّمون اعوجاجها، ويدفعون عجلة التنمية العلمية والثقافية إلى أرقى الدرجات وأعلاها، وحريّ بنا في هذا المجال أن نتعرّف على تراثنا الأدبي والعلمي والاجتماعي بالتعرّف على الباحثين الذين أثروا مكتباتنا وحياتنا العلمية والثقافية.

وهذا ما وجدناه عند الإمام المديوني أبي مريم الذي أبرز لنا جملة من علماء هذا البلد الكبير، وفي مقدمتهم تلمسان الحضارة التي لم تكن تمثل مَصرها ولا حدودها آنذاك وإنما كانت تمثل الجزائر كلّها شرقها وغربها، وحتى في الخارج من تونس والمغرب وغيرهما.

من أجل ذالك جاء هذا البحث ليسلّط الضّوء على منهج الشيخ المديوني في ترجمته للباحثين والعلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم، وقد أبرز لنا المؤلف جوانب من حياة هؤلاء العظماء، وكذلك أظهر لنا الحياة الاجتماعية والتاريخية والسياسية والعلمية والأدبية والثقافية التي كانت سائدة في عصر لا نعرف عنه الكثير وفي مدينة امتازت عن غيرها من المدن في كل هذه المجالات التي ذكرتُها آنفا.

وقبل الحديث عن الموضوع رأيت من المهمّ أن نتعرّف على هذا الشيخ وعلى كتابه البستان على النحو التالي:

ترجمة موجزة لصاحب الكتاب

لنتعرّف على هذا العالم والإمام لا بأس أن نقف عن نسبه ومولده، وشيوخه وتلامَذته، وآثاره ومؤلفاته، وأخيرا نتعرّف على سنة وفاته.

نسبه ومولده

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد أبو عبد الله الشّريف، المَدْيُونِيُّ أصلا والمَلِيتِيُّ نسبا، مؤرّخ بحّاثة تخصّص في عدة علوم، من فقهاء المالكية، الملقب بابن مريم الشريف[1]. ونجد في بداية كتابه البستان:" المديونيّ نجّارا، التلمساني منشأ ومولدا ودارا"[2].

ولد بتلمسان من عائلة تنتسب إلى أشراف قبيلة مليتة[3]. نشأ بها وأخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه، وتلقى تعليمه الأوّليّ بمدارس تلمسان. يعدّ من أبرز فقهاء تلمسان في عصره لمعارفه الفقهية واللغوية، فاهتم بتقييد الأخبار وقراءة الشروح اللغوية.

وقد اشتهر بزهده وتفوّقه في المسائل الفقهية، وقد امتهن مهنة التّعليم منذ صغره عندما كان يخلُف أباه عند مرضه، وبقي كذلك بعد وفاة والده، يقول في ذلك:" تماديتُ على ذلك؛ فتخرّج عليّ والحمد الله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولداً، كلّهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يُدرِّسون العلم في كل فن من العلوم الظاهرة والباطنة"[4].

قال عنه تلميذه الفقيه "عيسى بن محمد البطوئي السعيدي" في كتابه "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" نقلا عن الدكتور عبد القادر بوباية ما نصه:" قد مَنّ الله تعالى عليّ بملاقاة الشيخ الإمام الصوفي الهُمام، دُرّة أقرانه وسنوسيّ زمانه أبي عبد الله المذكور بيانه؛ فمتعتُ النفس والعين من مشاهدته ومن جميل لقائه، وتزودتُ منه ما ينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله وصالح دعائه؛ فما رأت عيناي قطّ مثله خَلقاً وخُلقاً وإنصافاً وحِرصاً على العلم، ورغبة في نشره، واجتهاداً في طلبه، وإدماناً على تلاوة الكتاب العزيز، وتواضعاً وخشية ومودة وصبراً، واحتمالاً وحياء، وصِدق لهجة، وسخاء وإيثاراً، ومواظبة على قيام الليل، وتبحراً في سائر العلوم الشرعية، وحُسن إدراكٍ وقوة فهم، وحُبّاً في الخير لجميع المسلمين"[5].

هذا النّص يبرز لنا مقام الإمام المديوني، وغزارة علمه، واجتهاده في كثير من العلوم، مع الخُلق الحسن والتواضع.

شيوخه وتلامذته

أورد عبد القادر بوباية عن الشيخ البطوئي أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن مريم معتمداً على ما كتبه المؤلف نفسه؛ حيث يقول:" الشيوخ الذين أخذت عنهم القرآن: والدي رحمه الله، وجعل الجنّة منْزله ومأواه، والشيخ سيدي عبد الرحمن بن تاغريبت والشيخ سيدي محمد بن فارس، والشيخ سيدي محمد الوجديجي، والشيخ سيدي عبد الرحمن السّاباني، والشيخ سيدي محمد الدرّار، والشيخ سيدي عثمان بن معرف، والشيخ سيدي زيان، والشيخ سيدي عيسى بن عبد الرحمن الصّميمي، والشيخ سيدي محمد العطّافي، هؤلاء قرأت عليهم القرآن، وأخذت العلم عن الشيخ سيدي أحمد أبركان الورنيدي، والشيخ سيدي أحمد حدوش، والشيخ سيدي الهامل الوجديجي، والشيخ سيدي محمد أبو السادات المديوني، وابنه سيدي محمد الصغير، والشيخ سيدي محمد بوزوبع الكناني، والشيخ سيدي سعيد المقري، والشيخ سيدي عيسى بن سلامة المستغانمي"[6].

أما عن تلامذته، فقد ذكر الدكتور عبد القار بوباية نقلا عن البطوئي أسماء من تتلمذ على الشيخ ابن مريم، ويدل عددهم الكبير على شدّة إقبال الطلبة عليه من كل حدب وصوب، أذكر منهم: علي بن منصور الشرقي، والفقيه محمد شقيقه، والفقيه محمد بن يوسف الشرقي، والفقيه محمد الندرومي، والفقيه محمد بن عبد الله الحداد، والفقيه موسى بن أحمد، والفقيه محمد بن سليمان الحجّار، والفقيه محمد بن عبد الله، والفقيه أخي بلقاسم ابن مريم، والفقيه محمد الساباني، والفقيه محمد البطحي، وولده سيدي محمد الصغير بن جملة، والفقيه الجليل أحمد المقري؛ صاحب الفتوى بفاس، والفقيه سعيد بن أحمد المقري الجوّاز، والفقيه عثمان الراشدي العطّافي، والفقيه محمد الزنداري، والفقيه الجليل

محمد السنوسي بن سيدي عبد الرحمن بن موسى الوجديجي، والفقيه عمر بن عبد الرزاق، وأحمد الجراري، والفقيه الحاج عمر الحانوتي، والفقيه علي بن موسى..."[7].

يدلّ هذا العدد من الشيوخ والأساتذة وممن تتلمذوا على يد فقيهنا على ورسوخه في العلم وعلى مكانته العلمية في تلمسان وفي كل المغرب آنذاك، كما مهنة التدريس التي ظل مواظبا عليها حتى وفاته هي التي كانت سببا في كثرة الوافدين عليه.

مؤلفاته

ذكر ابن مريم في آخر كتابه أن له أحد عشر تأليفاً أغلبها شروح وتقاييد في أمور الفقه والعقائد والذكر والكرامات والزهد والتراجم... أشهرها كتابه الذي بين أيدينا في التراجم. ومنها: [8].

❖تحفة الأبرار و شعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار.

❖ غنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد.

❖ فتح العلاّم لشرح النصح التام للخاص والعام. لإبراهيم التازي.

❖ كشف اللبس والتقييد في عقيدة أهل التوحيد.

❖ التعليقة السنية على الأرجوزة القرطبية.

❖ شرح على مختصر الصغرى.

❖ تعليق على رسالة خليل. في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها.

❖ شرح المرادية للشيخ التازي.

❖ تفسير لبعض الحكم.لم يكمله.

وفاته

ذكر عبد القادر بوباية الذي قام بعرض الكتاب وتقديمه أن الذين ترجموا لابن مريم لم يذكروا تاريخاً محدداً لوفاته، وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا، حتى اكتفى بعضهم بذكر التاريخ الذي كان فيه على قيد الحياة، بالاعتماد على تاريخ وفاة أحد الذين ترجم لهم المؤلف في كتابه، ومنهم أبو القاسم محمد الحفناوي الذي قال: "ومن تاريخ تأليف البستان يُعلم أنه كان حيّاً سنة 1014 هـ[9].

والقول الأقرب إلى الصّحة في هذه الأقوال أنّه توفي ما بين 1020هـ و1025هـ في مدينة الحنايا[10]. قرب تلمسان. فرحمة الله عليه وعلى كلّ علماء هذا البلد الطّيّب.

تعريف عام بكتاب "البستان في ذكر العلماء والأولياء تلمسان"

يعدّ الكتابُ عن معجما تاريخيا لعلماء تلمسان وأوليائها وفقهائها وشعرائها وغيرهم مرتّبا ترتيبا ألفبائيا، عنوانه "البُستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أو البستان في ذكر مناقب أولياء تلمسان" جَمع فيه آثار عظماء تلمسان في عصره[11].

وتضمن تراجم مفصّلة لـ مائة واثنين وثمانين (182) عالماً وفقيها ووليًّا صالحًا معظمهم ولدوا في تلمسان، أو عاشوا بها، أو تعرّفوا عليها؛ ومنهم من غادرها إلى ديار أخرى، فكانت طريقا إل غيرها، ومنهم من وافته المنيّة بها.

ويعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم التي عرفت بالأولياء والعلماء والمدرسين والأدباء، ومصدر أساسي للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية والدينية بتلمسان وأمصارها خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى الحادي عشر للهجرة.

وقد عُرض الكتاب كمخطوط بمعرض كنوز الجزائر للمكتبة الوطنية الجزائرية في تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، من جملة الكثير من المخطوطات والمصاحف القرآنية والمخطوط تحت رقم:1736.

وقد ذكر صاحب الكتاب سنة انتهائه من تأليفه ومكان كتابته له، فقد قال في خاتمة الكتاب:" وهاهنا انتهى الغرض في ما قصدناه، على الوجه الذي بيّناه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وفي سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه"[12].

ولا ندري لمَ صدّر كتابه بلفظة البستان، ولعله أخذه من البستان الذَي هو عبارة عن مجموعة من الأشجار والأنوار والأزهار والورود، فتيمُّنا بذلك ألّفه؛ لكثرة هؤلاء العلماء. كما أني طالعتُ كتابا سار فيه ابن مريم عن منهجه في الترجمة للعلماء، وهو كتاب " البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان" لعماد الدين الأصفهاني، ذكر فيه صاحبه تواريخ المشهورين بدءا بالأنبياء وفي مقدمتهم سيدنا آدم عليه السلام، إلى العصر الذي عاشه الكاتب[13].

ولا أستطيع الجزم أن المديوني وصلت إليه نسخة من هذا الكتاب، أو أنها نوع من المصادفة كما قلت سابقا.

وقد ألّف ابن مريم كتابه البستان نزولا عند رغبة صديق من أصدقائه، يقول في المقدمة:" أما بعد فالسّلام عليكم أيه الأخ الأحبّ في ذات الله تعالى ورحمة الله تعالى وبركاته، فقد طالعتُ ما أشرتم به عليّ من ذلك التأليف الأبرك المتضمّن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات..." [14].

كما أنه يعتقد أن نشر أحوال الصالحين قربة يتقرب به إلى الله، وفي ذلك يقول:"أنه إذا كان مجرّد حبّ الأولياء ولاية، وثبت أن المرء مع من أحبَّ، فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه. وخدمتهم ظاهراً وباطناً بتسطير أحوالهم، ونشر محاسنهم، في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. نشراً يبقى على مرّ الزمان ويزرع المودة لهم، والحبّ في صدور المؤمنين للاقتداء بهم بحسب الإمكان"[15].

المنهج الذي سار عليه المديوني في التّرجمة للعلماء والصالحين

في البداية أشير إلى أن هذا المنهج الذي سطّرتُه في هذه الورقات منهجٌ عام في كلّ الكتاب، وقد سار عليه ابن مريم الشّريف في كلّ ما قدّمه عن هؤلاء الشّيوخ والفقهاء والعلماء، كما

أن هذا المنهج الذي قمتُ به لم يكن مرتّبا على حسب طريقة معينة، ولا منهجا محدّدا، وإنما ذكرتُ ذلك على شكل نقاط ورؤوس أقلام، إذا اجتمعت بيّنتْ لنا بجلاء ووضوح طريقة الشّيخ في التّعريف والتّرجمة، وقد استنتجتُ هذا المنهج من استقرائي للكتاب وتصفّح ورقاته، وقد كنت في بعض الأحيان أقدّم بعض الآراء النقدية التي تعلّل ما ذهب إليه من آراء حول العلماء وتفسِّرُها.

ويتمثل منهجه في ما يلي:

1. **رتّب الإمام أسماء المترجَم لهم ترتيبا ألفبائيا**

لقد اتّبع الشّيخ منهج الترتيب الألفبائي على حسب اسم المترجَم له، بخلاف غيره الذين كانوا يعتمدون التتابع الزمني الأفقي، فيذكرون مثلا السنة ثم يعقبون ذلك بالحوادث التي جرت في تلك السنة، مع الإشارة إلى ما حدث في الأقطار والأمصار والأماكن والمدن...[16].

أما مؤلّفنا فكان يصدّر ذلك بقوله (حرف الألف) أو (حرف الباء) وهكذا، إلاّ أن بعض الحروف لم يذكرها، وذلك لعدم ورود أسمائهم بها؛ مثل:حرف التاء والثاء والذال والضاد والغين والفاء واللام والواو. ومعلوم أن الأسماء الأكثر ورودا هي: "محمد" التي أثبت فيها تسعة وسبعين (79) اسما؛ فنجد مثلا: محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب[17]. ومحمد بن محمد بن عرفة الورغمي[18]. واسم "أحمد" الذي أحصى فيه ستة وعشرين (26) اسما منهم: أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله المناولي[19]. وأحمد بن عيسى الورنيدي[20].

2. **تصديره لهم بقوله (سيدي)**

كثير ممن ترجم لهم الإمام صدر ذلك بقوله (سيدي) وهذا من الأدب مع العلماء الذي نفتقده اليوم، وهذا يدل على ما اتصف يه الإمام من الأدب الرفيع والخلق الحسن مع شيوخه وعلماء عصره أو الذين سبقوه. ومن ذلك قوله: "سيدي أحمد بن محمد بن زكري"[21]. وقوله "سيدي أحمد أبو العباس حفيد الشيخ سيدي محمد بن مرزوق"[22].

فهو لم يكتف بذكر العالم الذي ترجمه بلقب السيادة، وإنما تعدّى ذلك إلى جدّه.

ونلمس هذا الأدب عند الصوفيّة في تعامل المريد مع شيخه، وتعامل المريدين بعضهم مع بعض؛ كالتّآزر والتّعاون والتّضامن والأدب وغيرها من الصفات الحميدة.

3. **عدم إتّباع طريقة واحدة في التعريف بالعلماء من حيث الطول القصر**

كان الإمام يطيل أحيانا في التّرجمة، حتى يصل إلى عشرين(20) صفحة، ويوجز أخرى حتى ليترجم للشيخ بنصف سطر أو أقل من ذلك، وهذا يرجع ربّما إلى ما توصّل إليه من معلومات؛ وما وصل إليه من أخبار عن المُترجم له.

فنجد مثلا ترجمة محمد بن يوسف السنوسي صاحب المؤلفات الشهيرة في علم الكلام التي بلغت إحدى عشرة (11) صفحة[23]، وترجمة ابن مرزوق الحفيد وقد خصص لها ثلاث عشرة صفحة (12) [24]. وبلغت ترجمة سيدي محمد الهواري تسع (9) صفحات(25). وبلغت إحدى التراجم عشرين صفحة وهي ترجمة الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان[26].

وفي المقابل ترجم لمحمد بن يوسف الزّواوي بقوله:" كان من أكابر الأولياء بتلمسان"[27].وعن محمد بن سليمان النجار قال:" سيدي محمد بن سليمان النجار من مديونة الوليّ الصّالح"[28].

4. **المعلومات المقدمة للعالم المترجم له**

ومثلما تفاوتت الترجمة بين الطّول والقصر تفاوتت المعلومات التي كان يقمها الشيخ المديوني، فقد يقدّم هذه المعلومات كلّها، وقد يقتصر على بعضها: على النحو الذي سأبيّن:

- اسمه ونسبه ولقبه وشهرته.
- سنة مولده ومكانه.
- ألقابه العلمية.
- أخلاقه.
- كراماته.
- نشاطاته العلمية أو التعليمة، كالقراءات أو الفقه أو القرآن أو النحو أو الحساب أو الفرائض.
- علمه وشعره
- كتبه
- وفاته ومكانه.

الملاحظ من هذه الطريقة أن المديوني رحمه الله تعالى ألّفه وفق كتب التاريخ لذلك فهو أقرب للتاريخ منه إلى علم الاجتماع، فنجده يذكر تاريخ الميلاد والوفاة لكل من ترجم لهم، إلاّ أن يكون على قيد الحياة، وهو المنهج التي تميزت به كتب التراجم والتاريخ في تلك القرون التي سبقت عصر الكاتب.

5. **الأسلوب الذي استعمله المؤلف في الترجمة**

ترجمة ابن مريم الشريف لهذه الزمرة من العلماء بأسلوب أدبي رصين، يرقى إلى مصاف الفصيح، إلاّ أنه استعمل بعض العبارات بالعامية أو باللغة العامية، وهذا مما يُعاب عليه.

ومن بين تلك العبارات قوله:" وقالوا هذا الراجل ليس هو ساكن عندنا، هذا هو سارق فعرفوه... ننظر آش يعمل لي، أخذ ضربة برصاصة"[29]. وقوله:"... فقلت له: يا والدي يرحم لاّلة مريم ترضى عنّي، وتحلل لي ما خدمت عليّ وما أقرأتني؛ فنظر إليّ أخي أحمد رحمه الله وقال لي: لاش قلت هذا؟ قلت لأخي: واش على هذا ما يضرش"[30].

6. **ذكره كرامات المترجم لهم**

كان صاحب الكتاب رحمه الله حريصا على ذكر كرمات العلماء وما امتازوا به من صلاح وعبادة وزهد وقيام ليل، ولعلّ هذا من أغراضه الأساسية في تأليف هذا الكتاب، حيث يقول

في المقدمة:" فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه. وخدمتهم ظاهراً وباطناً بتسطير أحوالهم، ونشر محاسنهم، في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. نشراً يبقى على مرّ الزمان. ويزرع المودة لهم، والحب في صدور المؤمنين للاقتداء بهم بحسب الإمكان"[31].

ومن الأمثلة على ذلك يقول في الشيخ سعيد البجائي:" من أكابر الأولياء لهم مكاشفات خرج إلينا بيبدر[32] حين أخذت النّصارى تلمسان، دمّرهم الله، فذهب إليه مع أبي وأخذنا منه الدعاء، وقال لوالدي أهل تلمسان كلّهم يرجعون لبلدتهم حتى محمد يرجع إلا سعيدا، يعني بمحمد السلطان"[33].

ومن ذلك أيضا عندما ترجمة للشيخ إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني؛ حيث ذكر عن نفسه أنه خالف المشهور في مسألة من المسائل، وقلّد عالمين اسمهما "**ابن حبيب**" و"**أصبغ**"، فسقط عليه حجر في طريقه لزيارة أمّه وآله كثيرا، وذهب إلى شيخ من شيوخه- ولا زالت الآلام تلمّ به- معتذرا، ولما وصل إليه بادره هذا الشيخ بقوله قبل إخباره: من قلّد "**ابن حبيب**" و"**أصبغ**" فلا ذنوب عليه[34].

وكذلك قوله عن الشيخ الحسن بن مخلوف المشهور بأبركان أنه كان يتوضأ يوما في صحراء، وإذا بأسد يقبل إليه ويبرك على سبّاطه[35]. فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد وقال له:(تبارك الله أحسن الخالقين) [36]، ثلاثا، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحيي ثم قام ومضى[37].

7. الترجمة للعلماء البارزين والمشهورين

ترجم ابن مريم الشريف المديوني لكثير من العلماء البارزين الذين لهم مكانة علمية في تلمسان وفي المغرب وحتى في المشرق. مثل:محمد بن يوسف السنوسي صاحب المؤلفات الشهيرة في علم الكلام[38]، والشيخ ابن مرزوق الخطيب[39]، وابن مرزوق الحفيد[40]. والشيخ يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي[41]. والشيخ شعيب بن الحسن أبو مدين شعيب الغوث[42]وشعيب بن الحسن الأندلسي[43]...

8. ذكره الألقاب العلمية والدراجات المشهورة والأوصاف

لقّب صاحب الكتاب هؤلاء العلماء بألقاب عديدة تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثة عشر صفة، فمنها مثلا: (العالم العلامة) أو (شيخ زمانه) أو(العارف بالله) أو (القطب) أو (الغوث)" أو (شيخ الإسلام)...

فقد صدّر ترجمته لمحمد بن العباس بن محمد العبادي التلمساني بقوله:"الإمام العالم العلاّمة المحقّق المتفنّن المحصّل القدوة الحجّة المفتي الصّالح الحافظ المتقن البَرَكة"[44].

وقد يقتصر على أقلّ من ذلك، مثلما فعل مع الشّيخ محمد بن أحمد العقباني التّلمساني الذي قال عنه: الفقيه العالم العلاّمة الرحّالة المتقن البارع"[45].

ولعلّه تأثر بمن قبله من العلماء في تكثيرهم هذه الألقاب للعلماء، وهي طريقة في رفع شأن من يجلّونهم ويوقّرونهم.

9. ضبطه أسماء المترجم لهم

كان المديوني رحمه الله تعالى في بعض الأحيان يَضبط أسماء بعض العلماء والفقهاء بالشكل، وذلك خوفا من اللبس أو لتشابه تلك الأسماء مع غيرها، فنجده عند ترجمته للشيخ زيان بن أحمد بن يونس الجِيزِيّ، يضبط لقبه بقوله:" بجيم مكسورة ثم تحتية، ثم زاي مكسورة، ثم تحتية، نسبة لبلدة بمصر"[46].

وقال عن محمد بن محمد المَقّريّ: "يفتح الميم وتشديد القاف مفتوحة... وضبطه غيره بفتح الميم وسكون القاف"[47].

10. ذكره أقوال بعض من ترجم لهم أو أشعارهم أو ما قيل فيهم

كان الإمام المديوني رحمه الله تعالى حريصا على نقل آثار العلماء والأولياء في ذلك، وهذا ما يزيد معرفةً بالرجل وما له صلة بغيره من العلماء خاصة في الأقوال التي وردت في حقّه.

ومن ذلك ما نقله عن ابن مرزوق الحفيد:" فلو رآه الإمام مالك لقال له: تقدّم، فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يُسمع فقهي بلا محالة، أو رآه ابن القاسم لقرّبه علينا، وقال له: طالما دفعتَ عن المذهب عيبا وشيئا"[48].

ونقل عن الشيخ أبي محمد التلمساني في حقّ الشيخ إبراهيم التازي قوله:" كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزّاهدين، وعباد الله الصّالحين النّاصحين، إمام في علوم القرآن، مقدّما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التّامة بأصول الدين، إماما من أئمة المسلمين[49].

ومن الأشعار التي كان يرويها عن من ترجم لهم نجده يذكر شعر الشيخ أبي عبد للشيخ الشّوذي الإشبيلي[50]:

إِذَا نَطَقَ الوُجُودُ أَصَاخَ قَوْمٌ***بِآذَانٍ إِلَى نُطْقِ الوُجُودِ
وذَاكَ النُّطْقُ لَيْسَ بِهِ انْعِجَامُ***ولَكِنَّ جَلّ عَنْ فَهْمِ البليدِ
فَكُنْ فَطِنًا تُنَادَى مِنْ قَرِيبٍ***ولا تُكُ مِمَنْ يُنَادَى مِنْ بَعِيدِ

ونقل لنا كذلك من أشعار الشيخ التي نظَمها عند هدم باشا الجزائر حسن حِصْنَ المرسى الأعلى وهروب النصارى[51]:

هَنِيئًا لَكَ بَاشَا الْجَزَائِرِ وَالْغَرْبِ**بِفَتْحِ أَسَاسِ الْكُفْرِ مَرْسَى قِرَى الْكَلْبِ
سَتَفْتَحُ وَهْرَانَ وَمَرْسَاتِهَا الَّتِي ***أَضَرَّتْ بِذَا الإِقْلِيمِ طُرًّا بَلاَ رَيْبِ
فَثِقْ بِالإِلَهِ وَاسْتَعِنْ بِهِ وَاصْبِرَنْ*** يُنِلْكَ الْمُرَادَ يَا أَمِيرِي وَمَطْلَبِي
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلاَلُهُ***مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا قَدْ أَتَى ذَاكَ فِي الْكُتْبِ

خاتمة

بعد إنهاء هذه الوريقات البحثية، ووقوفي بين جنبات هذا البحث توصلتُ إلى بعض النتائج أهمها:

- ليس كلّ العلماء الذين ذكرهم المديوني أصلهم من تلمسان، وإنّما كانت لهم فيها بصمة فقط؛ كمن درّس فها، أو مرّ منها، أو توفي فيها، أو أخذ العلم على يد علمائها...

- كان حريصا رحمه الله على إظهار كرامات الأولياء قدر المستطاع.

- أثبت البحث قوّة الحافظة التي تمتّع بها الشيخ المديوني في نقله أخبار من ترجم لهم.

هذه جملت ما توصلت إليه من منهج الشيخ المديوني رحمه الله تعلى رحمة واسعة، وقد اقتصرتُ على ما ذكرتُ، طلبا للاختصار، والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1- ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام لجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط:2، 1980م، ص:292.

2- ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1908م، د.ط، ص:5.

3- عادل نويهض، المرجع السابق، ص:292.

4- نفسه، ص:269.

5- عبد القادر بوباية، عرض وتقديم كتاب البستان، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، العدد62، ص:207.

6- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص:208.

7- نفسه، ص:207.

8- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:309/308.

9- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير قونتانة الشرقية، ط:1، 1906م، الجزائر، ص:152/151.

10- عادل نويهض، المرجع السابق، ص:293.

11- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:309/308.

12- نفسه، ص:5.

13- ينظر: عماد الدين الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ص:75 وما بعدها

14- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:314.

15- نفسه، ص:6.

16- ينظر: عماد الدين الأصفهاني، المصدر السابق، ص : 106 وما بعدها

17- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:184.

18- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:190.

19- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:8.

20- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:24.

21- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:190.

22- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:27.

23- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:237-248.

24- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:201-214.

25- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:228-236.

26- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:74-93.

27- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:291.

28- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:292.

29- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص:228.

30- المصدر نفسه، ص:228-229.

31- المديوني، المصدر السابق، ص: 6.

32- لم أصل إلى معنى هذه اللفظة والتي هي بلدة على حسب السياق.

33- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:103.

34- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:65

35- لم أتعّرف عن اللفظة، والمعنى واضح.

36- تناص من قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون:14.

37- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:74

38- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:237.

39- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:258.

40- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:201.

41- ينظر: ابن مريم المديوني،المصدر السابق، ص:299.

42- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:115.

43- ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:108.

44- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:223.

45- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:224.

46- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:106 ويقصد بالتحتية الياء.

47- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:154

48- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:202-203.

49- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 58-59

50- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 69-70.:

51- ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 132.